Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 3 | No. 5| Page 205 – 222 | 2024 |
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

فاعلية القيم الإنسانية في ضوء القرآن الكريم

The Effectiveness of Human Values in the Light of Holy Qur'an

عبد الحق غانم سيف سالم

باحث – قسم القرآن وعلومه.

كلية التربية والعلوم التطبيقية، أرحب – جامعة صنعاء– اليمن

Abdulhaq Ghanem Saif Salem

Researcher - Department of interpretation and Quran sciences, faculty of education and applied science, Arhab - Sana'a University - Yemen

الملخص:

يهدف هذا البحثُ إلى بيان مفهوم القيم الإنسانية وبنائها الفاعل تصورًا وسلوكًا، وإبراز أثر هدايات القرآن في ذلك، من خلال المنهج الوصفي والاستقرائي والاستنباطي.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث: أن المعاجم القديمة لم تذكر تعريف القيم بمعنى الفضائل الأخلاقية السلوكية، وإنما أقر ذلك مجمع اللغة العربية المصري في العصر الحديث، وأن القيم الإنسانية مبادئ أخلاقية فاضلة تتسم بالثبات والمعيارية والمرجعية والسلطة المعنوية التي تنبع من الفطرة والمثل العليا، وهي في بنيتها معانٍ ومضامين تصورية تستقر في الباطن وتتجلى في الواقع، وتمتلك الدافعية والاستقامة الذاتية، ويؤدي السير وفقها إلى استقامة الحياة.

ومن أهم ركائز بنائها التصوري والسلوكي في هدايات القرآن: الإيمان بالله، والعمل الصالح، والتذكير الدائم بها، واستثمار التهيئة الفطرية الإيجابية في الإنسان، وتلبية حاجات غرائزه الفطرية، وربط القيم بالتشريعات والجزاءات والفرائض، والوقاية من قيم السوء.

ومن مقومات فاعلية القيم الإنسانية: الانطلاق من الإيمان، وربط الترقية المعرفية بالسلوكية، وربط القيم ببعضها في التربية والبناء، واعتماد صلاح البيئة وسلامتها.

الكلمات المفتاحية: القيم الإنسانية، فاعلية القيم، التصور والسلوك.

Abstract:

Research "the effectiveness of human values in the light of Holy Quran" aims to clarify the concept of human values and their active construction in perception and behavior, highlighting the impact of Quranic guidance in this regard, through the descriptive, inductive, and deductive methodology. One of the most important results of the research is that the ancient dictionaries did not mention the definition of values as ethical and behavioral virtues; rather, this was recognized by the Egyptian Academy of the Arabic Language in modern times. Human values are noble ethical principles characterized by stability, standardization, reference, and moral authority stemming from nature and high principles. They consist of conceptual meanings and contents that settle internally and manifest in reality, possessing motivation and self-integrity. Acting in accordance with them leads to the rectitude of life. Among the key pillars of their conceptual and behavioral construction in Quranic guidance: belief in Allah, righteous deeds, constant remembrance of them, harnessing positive natural predispositions in humans, meeting the needs of their natural instincts, linking values to legislation, rewards, and obligations, safeguarding against negative values. Elements of the effectiveness of human values include: starting from faith, linking cognitive advancement with behavior, relating values to each other in education and construction, and emphasizing the righteousness and safety of the environment.

Keywords: Human values, the effectiveness of values, conception and behavior.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وبعد:

إن القيم الإنسانية في مجملها قيمٌ عامّةٌ، يمكن أن تؤتي ثمارها مع أيِّ أمةٍ وأيِّ مجتمعٍ، متى أقيمت بحقٍّ كانت طريقًا للرقي والتطور، فهي ليست حكرًا على أمة أو دين، أيْ: إنها كاسمها إنسانية، ولكن

الاختلاف في فلسفتها ومنطلقاتها وركائزها ووسائلها ومحوريتها عند الأمم والمجتمعات، وذلك هو ما يمتّن بُنيتها ويحقق فاعليتها، بحسب صدق ومتانة وفاعلية تلك الأشياء.

أهمية البحث وأسبابه:

وتأتي أهمية البحث في موضوع القيم من جهة أهميتها هي؛ فالثابت أن استمرارية أي حضارة وتفوقها يكون بقدر التمسك بالقيم الإنسانية، كما أنها هي المعيار للإنسانية والضابط الذي يرشّد السلوك ويحكم عليه، وهي وموازين تعمل على تحقيق التوازن بين المصالح من أجل خير الجميع وسعادتهم.

وبالنسبة للمسلم ليست القيم ميزانًا للسلوك العام فحسبُ، بل هي مظهر للتدين الحقِّ أيضًا، فانعدام القيم السوية من المجتمع المسلم يُفقد الدين معناه، ويسهل الطريق للفوضى ولغرائز اللذة والعدوان والنفعية الجافة، وهذا الوضع يكون عائقًا أمام تحقيق الهدف الأسمى الذي خلق الله الإنسانَ لأجله في هذه الأرض، وهو القيام بواجب الاستخلاف والعبودية، كما تتمثل مشكلة البحث في سيطرة الماديات على الحياة اليوم؛ فكثير من الناس لم تعد القيم الإنسانية من أولوياته في الحياة، والكثير منهم يجهلها، بلْ إن البعض يتنكر لها ويدعو للقيم المادية المقابلة، كما أنّ ما تبقى من قيم لا نلمس لها فاعليةً وأثرًا واضحًا في الواقع، ومن هنا كانت الحاجة ماسة لمعالجة هذه المشكلة، ويمكن بلورتها في الأسئلة الآتية:

1- ما مفهوم القيم الإنسانية في ضوء القرآن الكريم؟

2 – ما هدْي القرآن الكريم في بناء القيم الإنسانية في التصور والسلوك؟

3- كيف تؤثر الهدايات القرآنية إيجابيا في فاعلية القيم الإنسانية؟

أن التزام المسلم للقيم هو استجابة للشرع وإتمام للتوحيد والإيمان. ولا يزال الناس في كل زمان ومكان بحاجة إلى القيم الإنسانية لضبط الحياة واستقامتها، ولكن معايير تلك القيم ومنهجية بنائها ووسائل فاعليتها تختلف باختلاف الثقافات والبيئات، ومن هنا كانت الحاجة إلى استجلاء هدايات القرآن في بناء وفاعلية القيم؛ لأنه المرجع الذي يهدي للتي هي أقوم. وبناء عليه فقد جاء هذا البحث بعنوان: (فاعلية القيم الإنسانية في ضوء القرآن الكريم)، وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

. أهداف البحث:

تتمثل أهداف هذا البحث ومقاصده في الآتي:

1. بيان مفهوم القيم الإنسانية في ضوء القرآن الكريم.
2. التعريف بهدي القرآن الكريم في بناء القيم الإنسانية التصورية والسلوكية.
3. إبراز الأثر الإيجابي للهدايات القرآنية في فاعلية القيم الإنسانية.

مشكلة البحث:

الدراسات السابقة:

بحسب اطلاع الباحث وتتبعه للكتابات حول الموضوع لم يجد دراسة أو بحثًا خاصًا في بناء القيم وفاعليتها على النحو الذي سلكه في هذا البحث، وما وجده الباحثُ من ذلك هو دراسات ومقالات وكتب عامة عن القيم والأخلاق.

. منهج البحث: اعتُمد في البحث المنهج الوصفي والاستقرائي والاستنباطي.

خطة البحث: بحسب أهداف البحث فقد قسِّم البحثُ إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، كالآتي:

المقدمة: وفيها: أهمية البحث وأهدافه ومشكلته ومنهجه وخطته.

المبحث الأول: مفهوم القيم الإنسانية في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثاني: هدْي القرآن في بناء القيم الإنسانية في التصور والسلوك.

المبحث الثالث: مقومات فاعلية القيم الإنسانية في ضوء هدايات القرآن.

المبحث الأول: مفهوم القيم الإنسانية في ضوء القرآن الكريم

أولًا: معنى القِيم في اللغة والقرآن:

القِيَمُ: جمع قِيمة[1]، وتأتي القيمة للمعاني والدلالات الآتية:

1ـ الثمن الذي يقوَّمُ به المتاع، أي: يقوم مقامه[2]، يقول الرازي: الْقِيمَةِ مأخوذة من مقاومة الشيء بالشيء حتى يكون كل واحد منهما مِثلا للآخر[3]. وهذا هو المعنى اللغوي البارز المذكور في المعاجم القديمة للقيمة.

2. الثبات والاستقرار والدوام[4]. ومنه ما جاء في قوله تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا} [النساء: 5]، قال ابن عطية: معناها: ثباتًا في صلاح الحال، ودوامًا في ذلك[5]. وقال الراغب: وقوله: "(دِينًا قِيَمًا) [الأنعام: 161]، أي: ثابتًا مُقَوِّمًا لأمور معاشهم ومعادهم. قال: وعلى هذا قوله تعالى: (ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)[يوسف:40]، وقوله: (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً، قَيِّمًا)[الكهف:1-2]، وقوله: (وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)[البينة:5]"[6]، ويقال: ما لفلان قيمة، أي: ليس له ثبات ولا دوام على الأمر[7].

3- ملاك الأمر وقِوامه الذي يقوم به، أو نظامه وعماده، يُقَالُ: فُلَانٌ قِوَامُ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقِيَامُ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ الَّذِي يُقِيمُ شَأْنَهُمْ. وَمِنْهُ أيضا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا} [النساء: 5] [8].

4- والقِيمَة فيها معنى مقوّم الأشياء، وما يكون مرجع الأشياء إليه[9]، وما يكون معيارًا لها[10].

5- والقِيمَة: قَدْرُ الشيء، أيْ: ما هو عليه في حقيقته[11]، أي: قيمته التي يستحقها أو يقوّم بها معنويًّا.

6- والقِيمَة: من المكانة، والشيء القيّم هو ذو القيمة النفيس[12].

7- والقِيمَة: من الاستقامة، ومنه قوله سبحانه: (دينًا قِيَمًا) بفتح الياء، وَمَعْنَاهُ: دِينًا مُسْتَقِيمًا لَا عِوَجَ فِيهِ[13]، وقوله: (ذلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ) [التوبة:36، يوسف:40، الروم:٣٠]، القيّم: المستقيم[14].

وذكر المفسرون في تصريفات لفظة القيمة والقيم معاني ودلالات أخرى، منها: كمال الذات، وعدم الزوال[15]، والاستقلال بالقيام بالحجة والدلالة والبيان[16]، والكمال في الاستقامة والصواب[17]،

(1) الفيومي، المصباح المنير، (520/2)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، (ص: 1152)
(2) الفيومي، المصباح المنير، (520/2)، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (768/2).
(3) الرازي، مفاتيح الغيب، (365/9)
(4) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص:691) وأحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، (1/ 611)
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (2/ 10)
(6) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص: 691)
(7) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (768/2).
(8) زين الدين الرازي، مختار الصحاح، (ص: 263)
(9) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص:691) ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (2/ 768).
(10) نزيه حماد، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، (ص: 374)
(11) انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (2/ 768) ومحمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل، (4/ 1839)
(12) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (3/ 1878)
(13) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (7/ 152)
(14) الواحدي، التفسير البسيط، (3/ 1366) و(8/ 46)
(15) الرازي، مفاتيح الغيب (21/ 423)
(16) المرجع السابق (2/ 263) و(32/ 240)
(17) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (30/ 477)

والكفاية في الحاجة والمصلحة[18]، والقيام بِإِصْلَاح مُهِمَّاتِ النَّاسِ وتكميلها[19]، والقيام بمصالح مَن يَعْجِزُ عَن إِقَامَةِ مَصَالِحِ نَفسِه[20].

وكما ترى فاعتماد هذه المعاني للقيمة إنما يقوم على السياق القرآني في الأصل، وقد تستند بعضها إلى المعنى المعجمي بصورة غير مباشرة.

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي الشرعي للقِيَم:

لم يرد في المعاجم القديمة تعريف القيم بمعنى الفضائل الأخلاقية والسلوكية، كما هو الاستعمال المعاصر، ولكن مجمع اللغة المصري أقر الاستعمال المعاصر لها من أنها بمعنى الفضائل التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني، وأجازه اعتمادًا على ورود هذا المعنى مشارًا إليه في كلام العرب[21].

وهناك تعريفات اصطلاحية للقيَم، أذكر منها تعريفين رئيسين:

الأول: أنها الفضائل الدِّينيّة والخُلقيّة والاجتماعيّة التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنسانيّ[22]. الثاني: أنها "المقاييس التي نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية، من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوئها وعدم قيمتها وكراهيتها"[23].

وبالنظر إلى هذين التعريفين وإلى ما سبق من المعاني والدلالات يمكن أن نكتفي بهما، ونستخلص تعريفًا جامعًا للقِيَم، فنقول:

القيم هي: مبادئ أخلاقية دينية واجتماعية فاضلة ذات سمة معيارية، لها أهمية معنوية وسلطة مؤثرة.

وتعريف القيم هنا يمكن أن يكون تعريفًا لـ(القيم الإنسانية) بصورة عامة، ولكن من باب الإجراء – أيضًا– نعرف لفظة (الإنسانية)، ثم نعرف مركب (القيم الإنسانية).

ثالثًا: معنى (الإنسانية):

الإنسانية مصدر صناعي، نسبة إلى إنسان. ويقال: إنَّ اشتقاق الإنسان من الإيناس، وهو الإبصار والعلم والإحساس لوقوفه على الأَشياءِ بطريق العلم، ووصوله إليها بواسطة الرُّؤية، وإدراكه لها بوسيلة الحواسّ[24].

وتعرف الإنسانية اصطلاحًا بأنها: مجموع خصائص الجنس البشريّ التي تميّزه عن غيره من الأنواع القريبة[25].

رابعًا: تعريف القيم الإنسانية (كمركب):

من خلال النظر إلى مفهوم القِيم ومفهوم الإنسانية، يمكن أن نخرج بتعريف جامع للقيم الإنسانية، كالآتي:

القيم الإنسانية هي: مبادئ أخلاقية فاضلة ثابتة لها قدْر عالٍ وسمة معيارية وسلطة معنوية عند الناس، تنبع من الفطرة الإنسانية والمثل العليا، يؤدي السير وفقها إلى استقامة الحياة ورُقيها.

ويشار هنا إلى أن إضافة القيم إلى الإنسانية تعطي دلالة أنّ هذه القيم تختص بالإنسان إدراكًا وسلوكًا وتوسّلًا.

ونخلص مما سبق إلى أن طبيعة القيم الإنسانية في ضوء القرآن الكريم تتسم بالآتي:

. الدلالة الإيجابية.

. وأنها ثوابت معيارية دائمة.

(18) المرجع السابق (8/ 199)
(19) الرازي، مفاتيح الغيب (12/ 439) و(21/ 423)
(20) المرجع السابق (32/ 245)
(21) انظر: أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي (1/ 611)
(22) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (3/ 1878)
(23) ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 299.
(24) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (2/ 31-32)
(25) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 130)

. وأن لها دافعية مؤثرة في ضبط أفكار الإنسان وأفعاله وتصرفاته.

. وأنها مرتبطة بِمَثَلٍ أعلى ديني واجتماعي له اعتبار عند الفرد والمجتمع.

. وأنها مرجعية مباشرة للسلوكات البشرية، ضبطًا وتقييمًا وتقويمًا.

. وأنها مستقيمة تامة كاملة، وصلاحها في ذاتها، ولا تحتاج لمقوم خارجي عنها.

المبحث الثاني: هدْي القرآن في بناء القيم الإنسانية في التصور والسلوك

بناء القيم يعني تشييدها وإقامتها وتنميتها في الذهن والتصور بما ينتج سلوكًا. وتعبير (بناء القيم) من الاستعمال المجازي[26]؛ لأنها في بنيتها هي معانٍ ومضامين نظرية تصورية لمبادئ وفضائل أخلاقية تستقر في الباطن، ثم تتجلى في الواقع من خلال سلوك فعلي أو قولي للإنسان.

وبالنظر في هدايات بناء القيم الإنسانية في القرآن نجد أنها على نوعين:

النوع الأول: هدايات القرآن في بناء القيم الإنسانية في مستوى التصور:

يمكن تعريف التصور هنا بأنه المستوى المعرفي المتضمن للتصديق، أي: إدراك الذهن للحقائق على ما هي عليه إدراكًا يقينيًّا[27]، فالتصور هنا هو العلم اليقيني بماهية القيم وحقيقتها.

وقد اهتم القرآن ببناء القيم في مستوى التصور والفكر؛ وذلك لأهمية هذا المستوى من البناء القيمي؛ فهو يرمي إلى بيان مفهوم القيم وأبعادها وتأصيلها المعرفي لبناء القناعة وتأكيدها وتثبيتها في العقل والقلب، ليتبلور السلوك في ضوء هذا التصور والمعرفة المؤكدة الثابتة؛ فالتصور وسيلة لترسيخ صورة القيمة وأبعادها في الذهن، من خلال الأوصاف والأخبار والبيان النظري وما إلى ذلك من تفصيلات البيان.

وتأتي أهمية التصور – هنا – من حيث أن "مبدأ الحركات البدنية ليس إلا تصورات نفسية"[28]، ولا يمكن القيام بالعمل النافع بدون التصور النظري الصحيح، ثم إن الوضوح النظري ليس فقط مقدمة للتصرف السوي، بلْ مقدمة للنجاح في كل عمل اجتماعي[29].

وباستجلاء هدايات القرآن في هذا الباب يمكن القول بأن القرآن يعتمد في البناء التصوري للقيم مبادئ وأسسًا متنوعة، يتجلى كثير منها في النقاط الآتية:

1. الاهتمام ببيان مكانة القيم في الدين؛ حيث نجد القرآن يبين أن القيم من الدين، وأنها مظهر له، بل يصف الدين بأنه قِيم، كما في قوله تعالى: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ، دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} [الأنعام:161]، فهذا وصف للدين بأنه قيَم أو قَيِّم، بحسب القراءتين[30]. وفي الواقع ومن خلال النصوص يمكن رؤية أن الإسلام ترتبط جوانبه عامة برباط أخلاقي قيمي.

2. ارتكاز القيم على الإيمان وأركانه، كما في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر:9]،

(26) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 250)
(27) انظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/451-455)
(28) الرازي، مفاتيح الغيب (18/ 483)
(29) نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي، (ص: 172)
(30) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (2/ 369) وابن عاشور، التحرير والتنوير (8 / 199)

ففيه بيان أن القيم الأخوية البالغة التي وصل فيها الأنصار إلى هذه الدرجة، إنما وصلوا إليها لتمكن الإيمان من قلوبهم ورسوخهم فيه، وأنّ هذا الإيمان الصادق هو ما أزال قيم الجاهلية من نفوسهم، وأقام قيم الحق والخير فيها[31].

ومن أدلة هذا ما جاء في قوله تعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ..} [البقرة:177]، فالآية تبين أنّ الإيمان هو قيمة القيم ومرتكزها الأول، وأنه لا قيمة صحيحة ولا دوام لها إلا بقيامها على الإيمان الصحيح والعقيدة السليمة.

ومن أدلة هذا أيضًا قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ..} [البقرة:264]، وقوله: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...} [الطلاق:2]، والآيات في هذا كثيرة.

3. ربط القيم والدعوة إليها بالعمل والتحقق بها، وبيان أن التدين الصحيح هو بإعمال القيم في السلوك الذاتي قبل أمر الغير بها، كما في قوله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} [البقرة:44]، فالآية صريحة في أن الأمر بالبر مع مخالفته ينكره المنقول الشرعي والمعقول الفطري، ولا يخفى على عاقل قبح عمل من يأمر غيره بالخير وهو يتركه، أو ينهاه عن الشر وهو يفعله[32]، وهذا خطاب يصلح لكل من يقع منه هذا الفعل المستنكر، والتوبيخ هنا بسبب ترك فعل البر وهم في مقام الدعاة[33].

ومن الأدلة في هذا أيضا قوله تعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ... أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة:177]، ففيه بيان أنّ الصلة كما هي ضرورة بين الأخلاق والإيمان، هي كذلك ضرورة بين الأخلاق والأعمال الصالحة.

4. تصويب الفهم وتصحيح التصور للقيم وفقه العمل بها: فعمل البِر ومعرفة قيمه وركائزه يحتاج إلى فقه وفهم وإدراك شامل، ويشير إلى هذا قوله تعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ..}، آنف الذكر؛ ففيه دلالة أنه ينبغي أولاً غرس قيم الإيمان التي تهيئ لقبول غيرها من القيم التابعة والحياتية العامة. وفيه أيضًا بيان أن في البر أنواع، وأن لبعضها أثرًا إيجابيًّا أعظم من بعض.

ومن هذا أيضا قوله تعالى: {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [البقرة:189]، ففيه يبين الله أن البر في امتثال أوامر الله على الوجه الذي شرعه[34]، وليس بحسب العادات والتهيؤات.

ومن هذا أيضا قوله تعالى: {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ} [البقرة:263]، فالآية تبين أنّ الهدف من العمل هو أداؤه مصحوبًا بالقيمة، وليس عملًا مجردًا من القِيم، كما تبين أن المرتبة العليّة من الإحسان هي النفقة الصادرة عن نية صالحة لم يتبعها المنفق منًّا ولا أذى[35]. والأمثلة في

(31) انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (10/ 61)
(32) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (1/ 93)
(33) صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، (1/ 155)
(34) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (2/ 345)
(35) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 956)

هذا كثيرة، وفيها تقويم لمنهج تناول قيم البر والخير، والحقيقة أنّ النقاط السابقة كلها داخلة في إطار بناء تصور القيم.

5. التذكير المستمر بالقيم والأمر بها والتأكيد عليها:

وفي القرآن أنواع من هذا ذكرت بطرق متنوعة، ليدل على ضرورة التنويع في التذكير والتأكيد المستمر، وسأذكر هنا أمثلة من ذلك:

* فمنه الأمر بعموم الاستقامة: كما في قوله تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ} [هود:112]، وهذه الاستقامة في كل ما يقوم به الإنسان، "فهذا الأمر منتظم لجميع محاسن الأحكام الأصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية"[36]، وكما هو في قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ} [فصلت:6]، "والمعنى وجِّهُوا استقامتكم إليه بالطاعة، ولا تميلوا عن سبيله"[37].

* ومنه الأمر بقيم معينة، كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ} [النحل:٩٠]، وقوله: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ} [النساء:58]، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} [النساء:135]، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ} [المائدة:1]، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة:8]، وقوله: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج:77]، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} [الحجرات:6]، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا} [المجادلة:11]، وغيرها من الآيات. والقيم الجزئية والكلية واضحة في هذه الآيات، لا يتسع المجال هنا لشرحها.

* ومنه التوجيه باحترام القيم والنهي عن التصرفات المنافية لها، كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة:2]، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ} [الحجرات:11]، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا} [الحجرات:12].

* ومن هذا أيضًا: التأكيد على القيم في معرض القصص والأحداث، إمّا بالنعي على من يناقضها أو الإشادة بمن يتمسك ويعمل بها، وهذا يتضح من قصة يوسف عليه السلام، وقصة ابني آدم (إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا) [المائدة:27]، وقصة داود مع الخصمين اللذين تسورا المحراب، وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم، وغيرها. وهذا العرض الدائم في القصص القرآني فيه بيان إيجابية القيم، وأنها ممّا يمكن تطبيقه واجتناء ثماره في الواقع.

* ومن هذا أيضًا: ذكر القدوات وقيمهم الطيبة والإشادة بهم؛ ليكون في ذلك داعيًا للعمل بالقيم وترغيبًا بها، ومن القدوات المذكورة في القرآن: الأنبياء والرسل على

(36) صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، (6/ 260)

(37) الشوكاني، فتح القدير (4/ 580)

المستوى الفردي، وعلى مستوى الأسر: كأسرة النبي –صلى الله عليه وسلم–، وأسرة إبراهيم– عليه السلام– وأسرة موسى–عليه السلام–: أمه وإخوته وزوجته، وبيت عمران أبي مريم.

* ومن هذا الباب: التأكيد على القيم في ضرب الأمثال، ومنه قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [النحل:76]، فهذا مثل أشاد الله فيه بمن يأمر بالعدل، وهو مستقيم في نفسه، باعتبار أن المثل يعني أشخاصًا حقيقيين[38]. والأمثال القرآنية من أفضل الوسائل لغرس القيم الإسلامية وتهذيب النفوس والأفكار وتغيير السلوك. وهكذا نجد أن تكرار التذكير والتنوع في الأمر بالقيم والتأكيد عليها من أهم وسائل البناء التصوري للقيم.

6. الحملة المستمرة على القيم السيئة، وكشفها ببيان مصادرها وأخطارها ومتعلقاتها، وهو نوع من التخلية الذهنية للمستهدَف، بحيث يتهيأ الذهن ليستوعب ما يأتيه من التصور الصحيح. ومن هذا: بيان مصادر بعض القيم السيئة، كما في قوله تعالى– محذرا من الشيطان–: {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء} [البقرة169] وقوله: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء} [البقرة:268]. ففيهما بيان أنّ الشيطان من مصادر القيم السيئة. وقوله تعالى: {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ} [النساء:37]، يبين أنّ اليهود من مصادرها كذلك، بما حملوه من الطباع السيئة، وقوله تعالى: {وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء} [الأعراف:28]، يبين أن من مصادرها العادات والأعراف السيئة المتوارثة، وكلها ممقوتة في الإسلام. ومن بيان أخطار القيم السيئة وكيفية مواجهتها، ما في قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ} [آل عمران:103]، وقوله: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ}[آل عمران:105]، وقوله: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ}[آل عمران:104].

النوع الثاني: هدايات القرآن في بناء القيم الإنسانية في مستوى السلوك:

السلوك يعرّف بأنه: سيرة الإنسان وتصرّفه واتّجاهه[39]. ويعرف بأنه: عمل الإنسان الإرادي المتجه نحو غاية معينة مقصودة تهدف إلى تحقيق مطالب جسدية أو نفسية أو روحية أو فكرية[40].

والمقصود هنا تعلق السلوك بالقيم والأخلاق، من جهة بناء هذه القيم عمليًّا في ضوء هدايات القرآن، بحيث نستلهم منه الإرشادات والتشريعات السلوكية التي هدى إليها في بناء القيم واستدامتها، من حيث السلب والإيجاب.

وعملية السلوك تتسلسل: من التصور الذهني إلى السلوك الباطن إلى السلوك الظاهر. ولا أَفصِل مقومات بناء القيم في الباطن عنها في الظاهر، فهو مما يفيده القرآن الكريم في هديه في هذا الجانب، كما سيتبين من خلال سرد الآيات القرآنية؛ ومن ثَمّ فإن هدايات القرآن في بناء القيم الإنسانية وترسيخها يمكن عرض أبرزها في النقاط الآتية:

1. ربط التصور بالسلوك، فالبناء السلوكي للقيم يقوم على التصور الصحيح لها، وهو متصل ببنائها؛

(38) انظر: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، (8/ 4226)
(39) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (2/ 1097)
(40) الأخلاق في الإسلام (ص: 6، بترقيم الشاملة)

فالسلوك يقوم على التصور أولًا، ويتأثر به سلبًا وإيجابًا في الأغلب؛ ولذلك ركز القرآن كثيرًا على التصور وربطه بالسلوك دائمًا، بحيث يصبح المرء في حالة من التطلع للعمل بما رسخ في ذهنه وقلبه، وتلبية ذلك بإجراءات سلوك عملية تدريبًا وتقويمًا.

2. استثمار التهيئة الفطرية (الخِلقية) الإيجابية التي فطرها الله –عز وجلّ– في الإنسان، من حُبِّ قيم الخير والحقِّ والعدل والجمال، وهذا ما رمى إليه القرآن الكريم في قوله سبحانه: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) [الروم:30]، أي: "إن الله تعالى خلق قلوبَ بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات"[41].

وكما يفهم من قوله تعالى: {صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ}[البقرة:138]، فصِبْغَةُ اللَّهِ: شريعته وسنته وفطرته، والآيةُ فيها ردٌّ على أهل الكتاب الذين ابتدعوا وسيلة التعميد لتزكية وتطهير أنفسهم وأتباعهم، فبين الله أنّ إيمان المسلم هو بصبغ الله وتلوينه، أي: تكييفه الإيمان في الفطرة مع إرشاده إليه[42].

وفي هذا دلالة على أنّ الأصل في الإنسان الطهارة وقبول الحقِّ بالفطرة، وما يعرض لهذه الفطرة من الرَّانِ إنما يأتي من عوامل خارجية يمكن التصدي لها أو إزالتها، وذلك هو سبيل إظهارها والبناء القيمي عليها. ويشير إلى هذا قوله سبحانه: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا)؛ فإقامة الوجه هو تقويم المقصد والقوة على الجد في أعمال الدين[43].

وفي القرآن بيان واسع لوسائل وأساليب استثمار ذلك التأهل الفطري لقبول قيم الحق والخير، وقد ذكر ابن عاشور في تفسيره عدة وجوه ومظاهر جاء بها الإسلام لتقوية أصل الفطرة ومكافحة ما يعرض لها من الشوائب والانحرافات، وهي–باختصار–: إصلاح العقائد، وإصلاح النفوس، وإصلاح نظام الحياة بالتشريع، وإقامة الحجة بأساليب الدعوة المختلفة، وتعميم الدعوة للبشر، ودوام الدعوة، وبيان مبادئ وأصول التشريع والإقلال من التعرض للفروع؛ ليترك المجال للاجتهاد فيما يواكب متغيرات الحياة، وحمل الناس على الخير، مع الرأفة والرحمة في حملهم عليه، وامتزاج الشريعة بالسلطان، وصراحة أصول الدين وظهورها، بحيث تحفظ من التأويلات الباطلة والتحريفات[44].

وبالنظر في هذه المظاهر نجد أنها أصول في إقامة الفطرة وقيم الحق والخير ومواجهة قيم السوء.

وهذه القابلية الإيجابية ينبغي أن يحافَظ عليها، وأن تواجَه وسائل التبديل الباطلة بقيم الحق والبناء عليها، وهذا تفيده الآية أيضًا، فجملة (لا تبديلَ لخلْقِ اللهِ) وإن كانت خبرية لفظاً فهي إنشائية معنًى، ومعناها: لا تبدلوا تلك الخِلقة ولا تغيروها، بلْ نموها وأبرزوها بالتربية حتى ينشأ الطفل على الإيمان والتوحيد[45].

3. **الاهتمام بالغرائز الفطرية، وتلبية احتياجاتها:** من زواج وأكل وشرب وغيرها من متع الحياة التي هي ضرورات فطرية، مع الاهتمام بتقرير القيم الإنسانية وتوجيهها إلى ما فيه خير الحياة واستقامتها، فاللهُ لم يحرم هذه الأشياء ولم يهملها، بل قصد إلى وضعها في مواضعها التي ينبغي أن تكون فيها، وممّا يبين

(41) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (14/ 29)
(42) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (1/ 216) وابن عاشور، التحرير والتنوير (1/ 744)
(43) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (14/ 24)
(44) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (3/ 194) وما بعدها
(45) انظر: أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (4/ 176)

ذلك قوله تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) [آل عمران:14]، ففي هذا البيان اعتراف بغرائز الفطرة، ثم تنبيه للإنسان بأنْ لا يجعلها هدفه وغايته في الحياة. وفي موضع آخر يقول الله: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[الأنعام:32]، وفيه بيان لما يجب على المؤمن أن يكون عليه من إعمال القيم الصحيحة في تلبية شهواته وغرائزه، وفي آيات كثيرة بيان بأنْ نجعل من تلبية هذه الغرائز الفطرية وسيلة لتقرير القيم وتنميتها، كما ندركه من قوله تعالى:{إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المؤمنون:6]، ومن قوله: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان:74]، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التغابن:14]، وقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} [البقرة:168]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة:172]، وغيرها.

4. ربط القيم الإنسانية بالتشريعات والتوجيهات الشرعية، فلا تجد تشريعًا على المستوى الفردي أو الجماعي أو في العلاقات أو غير ذلك من التشريعات إلا وهو مرتبط بالقيم، فمن سنة القرآن الحكيم مزج آيات الأحكام بالوعظ والإرشاد؛ ليقرر أمر الحكم وينصر النفوس على القيام به[46]. ومن الأمثلة في هذه النقطة:

* ما نجده في تشريعات الميراث؛ ففي نهاية آية المواريث يقول تعالى: (آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا)[النساء:11]، ويقول: (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ) [النساء:12].

* وفي تشريع الطلاق، يقول: (وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[البقرة:237]، (وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ) [الطلاق:1]، وفي العِدّة يعقب كثيرًا بالأمر بالتقوى، كما في سورة الطلاق: (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) [الطلاق:2]، وغيرها.

* وفي عموم الخلافات الأسرية يعرج على القيم كثيرًا لحل الخلافات، كما في سورة النساء والمجادلة والتغابن والتحريم.

* وفي عموم الخلافات المُجتمعية يأمر بإعمال البر والقسط والأخوة كأسس للإصلاح، فيقول: (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...) [الحجرات:9، 10].

* وفي الحرب والقتال يقول تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا} [البقرة:190]، ويقول جل وعلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا..) [النساء:94]، ويقول سبحانه: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [الممتحنة:8]، وهكذا.

* وفي التعامل مع الأخبار يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً

(46) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (3/ 50)

بِجَهَالَةٍ..) [الحجرات:6]، وهذه الآية قاعدة في هذا الباب، وإن كانت على سبب خاص[47].

* وفي تشريع الاستئذان يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ... وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النور:58-59]، وعن القواعد يقول: {فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ} [النور:60]، فخلفية هذا التشريع هو بناءُ القِيم الصحيحة والمحافظة عليها، من تربية الأطفال والأسرة على الستر والحياء والعفة ونحو ذلك.

وهكذا نجد أنّ كل هذه الآيات تتضمن ربطًا للتشريع بالقِيم.

5. ربط القيم بالجزاءات والإثابات المتنوعة، مع تفعيل مبدأ الثواب والعقاب: وهذا يعطي أهمية متزايدة للقِيم في نفس الإنسان، وممّا يُستدلّ لهذا قولُهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ... وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة:2]، وقوله:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [المجادلة:9]، وقوله:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة:11]، والآيات في هذا كثيرة، مما يدلُّ على أن ربط القيم بالجزاءات المتنوعة له قيمة تربوية في التربية الأخلاقية وتنمية القيم.

6. **فرض القيم الضرورية بالإلزام لصالح الأمة عند الحاجة لذلك**، كما يدل عليه قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}[الحديد:٢٥]. ففي هذا إشارة إلى احتياج الكتاب والميزان إلى قوة تحميهما وتفرضهما؛ ليحصل القيام بالقسط، فإن الظلم من شيم النفوس[48].

وطرق الإلزام تتنوع في الإسلام، وهي: الإلزام بوازع العقل، والإلزام بوازع الضمير، والإلزام بالترهيب والترغيب، والإلزام بوازع الكفارات، والإلزام بوازع الرأي العام، والإلزام بوازع السلطان[49].

7. **الوقاية من موارد الفساد، ومدافعتها**، وتجنيب المستهدفين مصادر قيم السوء، وهذا يأتي في مستوى التصور وفي مستوى السلوك أيضًا، وهو ممّا يفهم من قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ..} [الأنعام:68]. فـ"هذا الأدب أخذ الله تعالى به رسوله والمؤمنين، وهم في مكة قبل الهجرة"[50]، ولمّا هاجروا إلى المدينة وظهر النفاق وأصبح للمنافقين مجالس خاصة ينتقدون فيها المؤمنين ويخوضون فيها في آيات الله تعالى ذكّر الله تعالى المؤمنين بما أنزل عليهم في مكة، فقال: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} [النساء:140]. ومنه قوله تعالى: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ

(47) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (5/ 125)
(48) مجمع البحوث، التفسير الوسيط (9/ 1305)
(49) انظر: مصطفى محمد حلمي، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، (ص: 129) باختصار.
(50) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (1/ 558)

أَهْوَاءَهُمْ} [الشورى:15]، وغيرها. وفي هذا إشارة إلى أن النفس تتأثر بما يرد ويتردد عليها من خير أو شر، مما يستدعي العمل على الوقاية أولاً قبل المعالجة[51]، وأدلة ذلك كثيرة.

8. **محورية الفرائض والعبادات** في بناء القِيم: فالصلاة والصيام والزكاة والحج، لها أثر كبير في تأسيس القيم وتنميتها وتثبيتها وتفعيلها. فلا تجد ذكرًا للعبادات المفروضة أو المندوبة إلّا ومعه بيان المقصد والغاية والهدف القيمي نظريًّا أو عمليًّا، وممّا يوضح هذا: أن القرآن ذكر قوله تعالى: (حافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) [البقرة: 238]، وسطَ الآيات المتعلقة بأحكام الطلاق، فما المناسبة لذلك؟ والجواب: السياق يتكلم عن أحكام، ولكن من سنة القرآن أن يذكّر الناس بعد كل حكم بما يعينهم على تطبيق هذه الأحكام، والصلاة من أفضل ما يجلب الروحانية التي تعين على تقبل الأحكام والارتقاء في الروحانية والفضائل[52]. هذا مثال واحد لمحورية العبادات في بناء القيم، والآيات لا تحصى في هذا.

المبحث الثالث: مقومات فاعلية القيم الإنسانية في ضوء هدايات القرآن.

مقومات فاعلية القيم الإنسانية يمكن إجمالها في الآتي:

1. **مركزية العقيدة والإيمان والتقوى في التأسيس،** بأن نجعل العقيدة الصحيحة وأركان الإيمان والتقوى أساسًا ومنطلقًا للقيم الإنسانية، فالدافع العقدي الإيماني للتحقق بالقيم هو أقوى الدوافع. وقد ذكرتُ في البناء التصوري أدلة القرآن في ارتباط القيم بالإيمان، ويتبين من ذلك أن العقيدة الإيمانية هي التي تعزز الأخلاق الفاضلة داخل النفس، ثم تترجم هذه الأخلاق إلى سلوك، فتعزيز العقيدة في النفس أساس الأخلاق، وقوة الأخلاق من قوة العقيدة[53].

والأساس السليم المتين ووضعه بطريقة صحيحة يضمن ثبات البناء واستدامة وفاعلية نفعه. والله يقول: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ} [التوبة:109]، والمعنى، أيْ: من أسس بنيانه على الإسلام خير أمْ من أسس بنيانه على الشرك والنفاق؟ وفي الآية دليل على أن كل شيءٍ ابتدئ بنية تقوى الله والقصد لوجهه فهو الذي يبقى ويسعد به صاحبه ويصعد إلى الله ويرفع إليه[54]، وأن "الإيمان الصادق، وما يلزمه من العمل الصالح هو المثمر الثابت، وأن النفاق وما يستلزمه من العمل الفاسد هو الباطل الزاهق"[55].

2. **الترقية المعرفية والسلوكية معًا:** وهذا يعني تجلية المفاهيم بدرجة عالية من البيان والوضوح والعمق والشمول، وأن يصحب ذلك تدريب وممارسة ومتابعة ومراقبة على تلك المفاهيم السلوكية. وخطاب القرآن للإنسان يركز على هذه الطريقة بصورة واسعة، وممّا يبين ذلك قوله تعالى: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ} [البقرة:129]، وهذا من دُعاء إبراهيم–عليه السلام– سأل الله أن يبعث من يقوم بهذه المقاصد في الأمة، ولكنه أخّر مطلب التزكية، ولمّا استجاب الله له أعادَ الجواب في البقرة وآل عمران والجُمعة، ولكنه رتب

(51) انظر: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، (4/ 1912)
(52) نظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (2/ 345)
(53) أحمد الخاني، الأخلاق الإسلامية وأهميتها للحياة الإنسانية، (ص: 60)
(54) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (8/ 265) باختصار يسير
(55) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (11/ 37)

المطالب بتقديم التزكية بعد التلاوة وقبل التعليم، كما في قوله: (كمَا أرسلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آياتِنا ويُزَكِّيكُمْ ويُعَلِّمُكُمْ الكِتَابَ والحِكْمَةَ) [البقرة:151]. وقوله: {لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [آل عمران:164]. وقوله: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [الجمعة:2]، فهذا ترتيب مقصود؛ ليبينِ أنّ التزكية والعلم والحكمة تدور معًا، بحيث لا يعرف السابق واللاحق منها في الإجراء. وفي هذا بيان لمنهجية كاملة لبناء القيم في جانب التصور والسلوك: من التلاوة والتعليم وبناء المعرفة العميقة والتزكية والتقويم في إطار واحد[56].

ولا بُدَّ من استمرار واستدامة ترقية المعرفة والسلوك حتى تتجذر القيم وتثبت في النفوس وينفعل بها السلوك، فتصيرُ فعلًا مستمرًّا دائمًا[57]. والآيات الدالة لهذا كثيرة، ومنها قوله تعالى: {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج:32]، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ} [فاطر:29]، وغيرها.

ثم إنّ الفاعلية تقتضي الامتداد، أيْ: أن يصير الإنسان مصدرًا للقيم الطيبة، فيكون سلوكه داعيًا إليها مرغبًا فيها، ومقاله كذلك، فيمتد خيره وتتسع إيجابيّته، كما يقول سبحانه: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ}[آل عمران:104]، ويقول: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ}[آل عمران:110]، ويقول: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ} [التوبة:112]، ويقول: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ}[الأنبياء:73]، ويقول: {أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون:61]، وغيرها من الآيات.

وهكذا بهذه الخطوات المترابطة من المعارف والسلوك نضمن استدامة فاعلية القيم في النفس والمجتمع، واستحضارها في كل حال حتى تصبح نمطًا ثابتًا للإنسان يستزيد من المعارف التي تنعكس على السلوك بفاعلية دائمة ممتدة متجددة، كما يلخص ذلك قوله تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى} [طه:82]، فـ(ثُمّ اهتدى) معناه: استقام واستمر على ذلك حتى يموت[58].

3. ربط القيم بعضها ببعض في التربية والبناء، ويمكن النظر إلى هذا الربط من جهتين: من جهة تعلقها بالدوائر الإنسانية(الفرد، والأسرة، والمجتمع)، ومن جهة طبيعة وظائف القيم في الأداء السلوكي الإنساني.

– أما من جهة تعلقها بالدوائر الإنسانية، فالقيم وإن توزعت على تلك الدوائر إلا أن تلك الدوائر متلازمة وتتأثر بعضها ببعضٍ سلبًا وإيجابًا، وتلازُمُ بناء القيم في تلك الدوائر يؤدي إلى تماسكها في مواجهة المؤثرات السلبية كما يدفع إلى فاعليتها في الواقع؛ فالقيم الفردية مع أنها تخاطب الفرد إلا أنّ غايتها التأثير الإيجابي في الأسرة والمجتمع، والقيم الأسرية،

(56) للاستزادة في هذه النقطة، انظر: عبدالحق غانم سيف، مدارسة القرآن دراسة شرعية، ص 198 وما بعدها.

(57) انظر: أحمد الخاني، الأخلاق الإسلامية وأهميتها للحياة الإنسانية، ص: 57

(58) صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن (8/ 261)

كذلك ينَصبُّ تأثيرها في تهذيب الفرد في مخالطة المجتمع، والقيم المجتمعية أيضًا ترجع بالإيجاب على الفرد والأسرة، وهكذا نجد الهدي القرآني يبين أن التلازم بين قيم الدوائر الإنسانية له أثر إيجابي في فاعليتها المستمرة.

– وأمّا من جهة طبيعة وظائف القيم، فإمعان النظر في القيم يُظهِر لنا أنها متصلة فيما بينها تتكامل وتتمازج؛ لتقوم بمقتضياتها بفاعلية. وبالوقوف على بعض الآيات يتبين أثر ترابط القيم في تفعيلها وفاعليتها، لننظر مثلا إلى قوله تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ} [المائدة:2]، نجد أنّ التعاون ضروري لأداء قِيم البِر والتقوى، ونجد أنّ التقوى ضرورية للدفع إلى التعاون، وفي التعاون فاعلية من حيثُ ربط المجتمع بعضه ببعضٍ وتجذير تلاحمه، وفي التقوى تهيئة نفسية لقبول قيم التعاون. وفي قوله: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ} [النحل:90] نجد ربط العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى في إطار أمر واحد بما يجسد صورةً لتلاحم القيم واتصالها لضمان فاعليتها وتأثيرها واستمرارها، ثم في العدل قوام الحياة، وفي الإحسان مقصد من مقاصد ترميم الحياة، وهو داعم للعدل في تلطيف تأثيراته التي قد تكون سلبية على بعض الناس، فيكون الإحسان مهمًا للعدل من هذه الحيثية. والإحسان أوسع من العطاء المادي، ولما كان في مفهومه تفضلا من المحسن فقد لا يستسيغه ذوو القربى من قريبهم؛ إذْ يرون لأنفسهم عليه حقًّا، فجاء إيتاء ذي القربى– وهو إحسان خاص– ولم تسمه الآية إحسانًا لبيان أنّ حقَّ ذوي القربى آكد من كونه إحسانًا، فيشعر بذلك القريب ويراعيه المحسن، وهكذا نجد أن فاعلية كل قيمة بارتباطها بأختها، وهو ما يفهم من ربط القرآن للقيم بعضها ببعضٍ في سياق تكاملي تلازمي.

4. محورية البيئة في فاعلية القيم، وتتمثل البيئة بالبيت والأسرة والمجتمع، ويدخل فيها المسجد والمدرسة ونحو ذلك من المؤسسات المعنية، وكلما كانت البيئة متحققة بقيم معينة كان لذلك تأثير بالغ في تحقيق الأفراد لها في سلوكهم، وهذا واضح في الواقع؛ فالبيئة بمكوناتها لها أهمية كبرى في غرس القيم وتنميتها. ومن أدلة هذا قوله تعالى: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ) [التوبة:97]. فـ"مِنَ الأعرابِ المؤمنُ والكافر والبَر والتقي والعاصي والفاجر، كسكان المدن، إلا أنّ كفار البادية ومنافقيها أشدُّ كفراً ونفاقاً لتأثير البيئة"[59]. وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة:119]، فيه "أنّ الله تعالى يحث المؤمن على أن يعيش في بيئة يكون فيها الصدق سائدًا، والبر مسيطرًا، فإن فساد البيئة الفكرية والخُلقية يؤدي إلى عموم الفساد، والبيئة الصالحة تهذب آحادها، وتجعل الشر يختفي والخير يظهر، وظهور الخير يدعو إليه، وظهور الشر يُحرّض عليه"[60]. وقوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ}[البقرة:221]، يتضمن أساس صلاح الأُسرة، وهو الاشتراك في الدين بين الزوجين،

(59) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (2/ 418)

(60) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، (7/ 3478)

وهو يتناول لونًا من أَلوان الإصلاح في البيئة الإسلامية[61].

والبيئة الإيجابية تبعث على التقبل والانفعال الإيجابي، فالانفعال يحصل في القلب والوجدان لأسباب عديدة، من أهمها: استثارة الفطرة النقية بموجبات وجدانية وتزكوية قوية، وتغيير البيئة أو تهيئة الوسط التربوي والدعوي بما يقتضيه الحال.

والكلام عن البيئة وأفرادها وأهميتها في بناء القيم وفاعليتها واضح في القرآن، ولكن لا مجال هنا للخوض في تفاصيله.

خاتمة

أحمد الله تعالى على إكمال هذا البحث، وفي هذه الخاتمة سأذكر أهم النتائج والتوصيات.

أولا: النتائج:

1. لم تورد المعاجم القديمة تعريف القيم بمعنى الفضائل الأخلاقية السلوكية، كما هو في الاستعمال المعاصر.

2. القيم الإنسانية هي: مبادئ أخلاقية فاضلة ثابتة لها قدر عال وسمة معيارية وسلطة معنوية عند الناس، تنبع من الفطرة الإنسانية والمثل العليا، ويؤدي السير وفقها إلى استقامة الحياة ورُقيها.

3. تتسم القيم الإنسانية بالدلالة الإيجابية والثبات والمعيارية والمرجعية وامتلاك الدافعية وارتباطها بمثل أعلى ديني واجتماعي له اعتبار عند الفرد والمجتمع وبالاستقامة التامة الكاملة والصلاح في ذاتها.

4. القيم تتقاطع في علاقاتها، بحيث تشكل نهجًا ونظام سلوك فاعلًا ضابطًا للحياة، لا تناقض فيه ولا اعوجاج.

5. القيم في بنيتها معاني ومضامين نظرية تصورية تستقر في الباطن وتتجلى في الواقع كسلوك وأفعال إنسانية.

6. اهتم القرآن ببناء القيم في مستوى التصور لأهمية بنائها المعرفي في إيجاد القناعات الإيجابية في العقل والقلب، وليتبلور السلوك في ضوء هذا التصور السليم المتوازن.

7. من أهم ركائز بناء التصور القيمي في هدايات القرآن: ارتكازها على الإيمان وأركانه، وربط القيم بالعمل والتحقق بها، وتصويب الفهم وتصحيح التصور لها وفقه العمل بها، والتذكير المستمر بها، والحملة الكاشفة للقيم السيئة.

8. من أهم ركائز بناء القيم الإنسانية في مستوى السلوك: ربط التصور بالسلوك، واستثمار التهيئة الفطرية الإيجابية، والاهتمام بتلبية حاجات الغرائز، وربط القيم بالتشريعات وبالجزاءات المتنوعة. وفرض القيم الضرورية لصالح الأمة، والوقاية من موارد الفساد ومدافعتها، وتجنيب المستهدفين مصادر قيم السوء.

9. من مقومات فاعلية القيم الإنسانية: انطلاقها من الإيمان، وربط المعرفة بالسلوك، وربط القيم بعضها مع بعضٍ، واعتماد صلاح البيئة وسلامتها.

ثانيا: التوصيات:

يوصي الباحث بالآتي:

1. التوسع في البحث في عدد من الركائز المحورية في تكوين القيم وبنائها وتفعيلها، ومن ذلك: محورية الفرائض والعبادات، ودور المسجد، وفي موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من الركائز.

(61) مجمع البحوث، التفسير الوسيط (1/ 358)

2. تكثيف الجانب القيمي في المناهج الدراسية ومدخلات التعليم والبرامج والأنشطة المدرسية.

3. تفعيل دور الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي في بناء وترسيخ القيم الإنسانية.

المصادر والمراجع

[1] أحمد الخاني، الأخلاق الإسلامية وأهميتها للحياة الإنسانية، ط1، 1433هـ . 2012م.

[2] أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008 م.

[3] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م.

[4] الأخلاق في الإسلام، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

[5] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1415هـ.

[6] أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5 ،1424هـ-2003م.

[7] التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد (ت بعد 1158هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م.

[8] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن(ت606هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

[9] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت502هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم- دمشق، الدار الشامية-بيروت، ط1، 1412 هـ.

[10]زين الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت666هـ)، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420هـ / 1999م.

[11]السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ -2000 م.

[12]الشوكاني، محمد بن علي (ت1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ.

[13]ابن عاشور، محمد الطاهر (ت1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.

[14]عبد الحق غانم سيف، مدارسة القرآن دراسة شرعية، كرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية، جامعة القصيم، السعودية، ط1، 2021م.

[15]ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422 هـ.

[16]الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب (ت817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1393هـ- 1973م.

[17]الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426 هـ - 2005 م.

[18]الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت. د ت.

[19]القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط2، 1384هـ- 1964م.

[20]الواحدي، علي بن أحمد، التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430 هـ.

[21]ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية دراسة مقارنة بالفلسفات التربوية المعاصرة، ، الأردن، دار الفتح للدراسات والنشر، ط1، 2009م.

[22]مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، (إبراهيم مصطفى، وآخرون)، دار الدعوة، د. ت.

[23]مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (1393هـ = 1973م) - (1414هـ = 1993م).

[24]محمد بن أحمد بن مصطفى، أبو زهرة (ت1394هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، د ط، د ت.

[25]محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010 م.

[26]محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، (تفسير القرآن الحكيم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.

[27]محمد صديق خان بن حسن القِنَّوجي (ت 1307هـ)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، صَيدَا، بَيروت، 1412 هـ - 1992 م.

[28]مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت.

[29]مصطفى محمد حلمي، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، المصدر: الشاملة الذهبية، بدون بيانات.

[30]ابن منظور الأنصاري، محمد بن مكرم بن علي(ت711هـ)، لسان العرب، المحقق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د ت.

[31]نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ط3، 1418هـ-1998م.

[32]نزيه حماد، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، دار القلم، دمشق، ط1، 1429هـ-2008م.